

الأخلاق عند ابن سينا

أحمد عبد الحلیم عطیة

إن دراسة الأخلاق عند ابن سينا، الذي أطلق عليه "حجة الحق، رئيس العقلاء، أمير الأطباء، أبقراط العرب، أرسطو الإسلام، المعلم الثالث والشيخ الرئيس"^(١)، ترجعنا إلى حوالي ألف عام من تاريخ الدولة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، التي أنجبت لنا عدداً كبيراً من العلماء المسلمين في العلوم المختلفة من: حديث وتفسير، لغة وآداب، منطق وفلسفة، طبّ وفيزياء، مثل البخاري، والنسائي، والترمذي والبيهقي والقزويني والخوارزمي. ثم إن ابن سينا أشهر فلاسفة الإسلام في بخارى وأعظم الأطباء في آسيا الصغرى، والذي تصفه المصادر التي تناولت حياته وفلسفته، سواء أكانت قديمة أم حديثة عربية أم غربية بالبخاري^(٢).

وتأتي في مقدمة هذه المصادر سيرته الذاتية^(٣)، التي جاء فيها: "إن أبي رجلٌ من أهل بلخ،

-
- ١ - أ. د. محمد زهير البابا: مقدمة تحقيق مؤلفات ابن سينا الطبية، معهد المخطوطات العربية، ومعهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، ١٩٨٤م، المقدمة ص: ب.
 - ٢ - انظر على وجه الخصوص: بطرس البستاني: دائرة معارف البستاني، دار المعرفة بيروت، لبنان، مادة ابن سينا، وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م ٤، ص ٢٠، والبيهقي: تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق كرد علي دقق، ١٩٧٦م، ص ٥٢.
 - ٣ - يمكن التعرف على سيرة حياة الشيخ الرئيس من خلال المعلومات الموثوقة "لكن غير الكافية" التي نقلها المؤرخون كالبيهقي في تنمة صوان الحكمة، والقفطي في أخبار العلماء بأخبار الحكماء وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء وابن خلكان في وفيات الأعيان والكاشي على هامش نزهة الأرواح للشهرزوري، وقد اعتمدت هذه الروايات على سيرة حياته التي أملى بنفسه شطراً منها على تلميذه الجوزجاني "من الطفولة حتى عام ١٠١٢" أما الشطر الآخر فأكملة الجوزجاني بنفسه بعد موت أستاذه منذ ذلك التاريخ حتى وفاته، وإلى جانب ذلك يذكر الدكتور محمد ثابت الغندي - في تعليقه على مادة ابن سينا التي كتبها دي بور في دائرة المعارف الإسلامية - ترجمة أخرى كتبها النظامي العروضي السمرقندي في "جهاز مقالة" وتلقى هذه الترجمة مع ماجاء في كتاب الكامل لابن الأثير وتاريخ الأولياء لفريد الدين العطار، وكشف الظنون لحاجي خليفة ضوءاً جديداً على ما خفى من جوانب حياة الشيخ الرئيس. انظر أيضاً أحمد غسان سبانو: ابن سينا في دوائر المعارف العربية والعالية دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤م.

انتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصوف، وتولى العمل أثناء أيامه بقرية يقال لها خرمثين من ضياع بخارى، وهي من أمهات القرى وبقريةها قرية يقال لها افشنه، تزوج أبي منها لوالدتي وقطن بها وسكن وولدت منها بها^(٤)، عاش ابن سينا في عصر النفوذ البويهى من عصور الدولة العباسية، وقضى العقدين الأولين من حياته في ظل الدولة السامانية، وعاش شطر عمره الأول في بخارى عاصمة خراسان ثم كركانج من البلاد التركية وشطر عمره الثاني في البلاد الفارسية في جرجان ثم الريّ وهمدان التابعين للنفوذ البويهى ثم في أصفهان^(٥)، وبلخ وقد كانت القعبة السياسية لولاية خراسان، ثم أصبحت المركز الثقافى والدينى لمملكة طخارستان، وفي عام ٦٥٣هـ شدد عليها الأحنف ابن قيس الحصار حتى فتحها وتعتبر حالياً من أفغانستان وتقع شمالها. وبخارى عاصمة الدولة السامانية في ذلك الوقت أيام أميرها نوح بن منصور الساماني - الذي قرب ابن سينا إليه - تعدّ اليوم إحدى مدن أوزبكستان من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق وهي على ملتقى الطرق بين روسيا وفارس والهند والصين، وتقع أوزبكستان شمال أفغانستان وغرب تركستان وقازقستان، وشرق تركمانستان، أما كركانج في قسبة بلاد خوارزم ومدينتها العظمى فكانت تقع غربي نهر جيحون، وقد خربها التتار سنة ٦١٨هـ ولو بقيت اليوم لكانت إحدى مدن تركمانستان^(٦).

ونظراً لذلك وللشهرة العظيمة التي نالها ابن سينا فقد تنازعا على أصله وتسابق إلى الاحتفال به عدة شعوب شرقية وغربية، وإن الأتراك أول السباقين إلى ذلك فقد أقامت الجمهورية التركية عام ١٩٣٧م مهرجاناً ضخماً احتفالاً بمرور تسعمائة عام حسب التقويم الميلادي على وفاته، وحذاً حذوهم العرب ثم الإيرانيون فأقاموا مهرجانين متعاقبين: الأول في بغداد عام ١٩٥٢م والثاني في طهران عام ١٩٥٤م وذلك بمناسبة الاحتفال بالذكرى الألفية لمولد الشيخ الرئيس حسب التقويم الهجري، وقد شاركت مصر بإنجاز تحقيق عمله الضخم "الشفاء"، وصدر على التوالي في السنوات التالية. ودعت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونيسكو" عام ١٩٧٨م جميع الدول

٤ - يحيى أحمد الكاشي: نكت في أحوال الشيخ ابن سينا، تحقيق د. أحمد فؤاد الأهواني، منشورات المعهد

العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٩.

٥ - د. محمود ناظم نسيمي: أوطان ابن سينا ولسانه وإيمانه، أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم

عند العرب، منشورات جامعة حلب، ١٩٨٣م، ص ٢٣٧.

٦ - المصدر السابق، ص ١٨.

للاحتفال بالذكرى الألفية لمولده^(٧) وشارك في تكريمه عام ١٩٨٠م، وساهم في الاحتفال به عدد من مدن الاتحاد السوفيتي السابق، موطنه الأساسي مثل: موسكو ولينينجراد ودوشنبه وطاشقند وبخارى، ولعل المستوى الرفيع الذي تميّزت به على وجه الخصوص الاحتفالات بالذكرى الألفية لميلاد ابن سينا فيما عرف بالاتحاد السوفيتي يعطي دلالة واضحة على الاحترام العميق ... حيال الفكر الديني والفلسفي للمسلمين^(٨)، فقد توجت الذكرى الألفية لميلاد أبي علي بن سينا بنشر مؤلفاته وكتبه ورسائله التالية: كتاب المعرفة، الإشارات والتنبيهات، كتاب النفس البشرية، القانون في الطب وغيرها، كما نشرت كتب خاصة ومؤلفات عنه بلغت سبعة، نذكر من هذه المؤلفات:

أ. سيموف: ابن سينا في تاريخ الحضارة، مجلة قضايا الفلسفة - العدد ٧ - عام ١٩٨٠م.

م دينور شوييف: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، دوشانبيه - عام ١٩٨٠م.

أ. م يوجونيفوف: عصر ابن سينا وتشكل آرائه العلمية، في كتاب ابن سينا دانوش، تامة، ستالين ايار، ١٩٥٧م.

جمعييف ف. ل: الجراحة السينوية ومصادرها التاريخية، طاشقند - ط ٢، ١٩٧٩م.

زافادوفسكي ي. ن: "الفارابي وابن سينا". ضمن الفارابي وإبداعه العلمي - موسكو، ١٩٧٥م.

زافادوفسكي ي. ن: أبو علي سينا دور ثانية.

سعدبييف، أرثور: ابن سينا، دار التقدم - موسكو، ١٩٥٨م^(٩).

٧ - وقد خصصت اليونيسكو العدد ٢٣٣ من مجلة رسالة اليونيسكو لابن سينا وأصدرت اللجنة الوطنية للتربية والعلم والثقافة اليونيسكو بلبنان مجموعة أبحاث الذكرى الألفية لمولد الشيخ الرئيس والتي تتضمن أبحاث الأساتذة: د. فريد جبر: العقل الفعال عند ابن سينا، د. عمر فروخ: ابن سينا العالم، د. فيليب سالم: ابن سينا الطبيب، د. معين زيادة: الفكر الصوفي عند ابن سينا، د. ماجد فخري: الإلهيات عند ابن سينا، د. رضوان السيد: ابن سينا المفكر السياسي الاجتماعي، د. هشام: نشأة التربية والتعليم عند ابن سينا، وقد صدرت عن مؤسسة نوقل ببيروت لبنان، ١٩٨١م كما خصصت مطبوعات اليونيسكو ملحقاً يضم عدة دراسات عن العيد الألفي لمفكر عظيم في العدد الأول من مجلة ثقافات، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٢٧٥ - ٣٣٠.

٨ - ماريينا سبتيانيانس محرر مقدمة كتاب: التراث الفلسفي الإسلامي في أبحاث سوفيتية دار الفارابي، لبنان، ١٩٧٨م، ص ٧.

٩ - أرثو سعدبييف: ابن سينا: دراسات في الفكر العربي الإسلامي، تعريف د. توفيق سلوم دار الفارابي بيروت لبنان، ١٩٨٧م.

سعديف: ابن سينا كمنسق للعلوم القروسطية، أكاديمية العلوم السوفيتية - العدد ١١ -
عام ١٩٨٠م.

سعديف: "قائمة أعمال ابن سينا وترتيبها الزمني"، مختارات ابن سينا موسكو، ١٩٨٠م.
يقعينا فولوقا: "مشكلة المنهج في تراث ابن سينا ضمن كتاب" التراث الفلسفي الإسلامي في أبحاث
سوفيتية ترجمة محمد هلال وآخرون(١٠).

ألكسندر أغناتنكو: "السياسة كنظرية للنشاط البشري" ضمن كتابه ابن سينا.
بحثاً عن السعادة: الأفكار الاجتماعية والسياسية في الفلسفة العربية الإسلامية،
موسكو(١١)، بالإضافة لمادة "ابن سينا" في دائرة المعارف الروسية، ومادة ابن سينا التي كتبها
موجودنيوف في الموسوعة الفلسفية(١٢)، ونفس المادة في القاموس الفلسفي لروزنتال ويادين الذي
نقل للعربية بعنوان الموسوعة الفلسفية(١٣).

إن ما قدّمه فيلسوفنا الشيخ الرئيس؛ البخاري مولداً، والعربي لغة والإسلامي حضارة،
والإنساني فكراً والعالمي أثراً يوضح مدى ازدهار الحضارة الإسلامية وتعدد العلوم وانتشارها ونضجها
وكثرة العلماء وأهمية ما أسهموا به في العلم والفلسفة في ذلك القطر الإسلامي أي بخارى أوزبكستان
ويمكن أن نتبين ذلك من ذكر العلماء المسلمين الذين تلقى عنهم ابن سينا أو عاصروهم أو تتلمذ على
يديهم مثل: أبي عبد الله الناتلي المتفلسف الذي أخذ عنه المنطق والهندسة وعلم النجوم(١٤)،
وإسماعيل الزاهد الذي أخذ عنه الفقه(١٥)، وأبي بكر أحمد بن محمد البرقي الخوارزمي الذي يخبرنا
الفندي بتتلمذ ابن سينا عليه في اللغة والأدب والذي ألف له كتاباً بعنوان الحاصل والمحصل والبر

-
- ١٠ - انظر ماريينا سيبانيانس، المرجع السابق، ص ٢٩-٥٤.
١١ - ألكسندر اغناتنكو: بحثاً عن السعادة ترجمة د. توفيق سلوم دار التقدم موسكو، ١٩٩٠م، ص ١٠٥-١١٩.
١٢ - انظر مادة ابن سينا في دائرة المعارف الروسية، ص ١٢٧-١٢٩ وفي الموسوعة الفلسفية صفحات ١٣٠ -
١٣٣ من كتاب أحمد غسان سيانو: ابن سينا في دوائر المعارف العربية والعالمية.
١٢ - م. روزنتال، ب يادين: الموسوعة الفلسفية ترجمة سمير كرم دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت،
١٩٨٤م، ص ٨.
١٤ - انظر سيرة ابن سينا الفلسفية في الكاشي، ص ١٠، والبيهقي: تاريخ حكماء الإسلام، ص ٣٧
والشهرزوري: نزهة الأرواح، ص ٥٣، والقفطي ٢٦٨ وما بعدها.
١٥ - الكاشي، ص ١٠.

والإثم^(١٦)، وأخذ الطب عن كل من أبي سهل المسيحي وأبي منصور الحسن بن نوح القمري^(١٧)، ومن معاصريه الأعلام كل من: مسكويه والبيروني^(١٨)، وأبي القاسم الكرمانلي وأبي نصر العراقي وأبي الخير بن الخمار^(١٩)، وإذا أضفنا إلى هؤلاء تلاميذه أمثال: أبي عبد الله الجوزجاني راوي سيرته وسره الأمين وتلميذه المقرّب^(٢٠)، وأبي الحسن بهمينار بن المرزبان الأذربيجاني^(٢١)، وأبي عبد الله المعصومي^(٢٢)، وسليمان الدمشقي، وأبي منصور بن زبلا^(٢٣)، وأبي القاسم عبد الرحمن النيسابوري^(٢٤)، والسيد عبد الله بن يوسف شرف الدين الإيلاني^(٢٥)، وأبي الحسن العروضي الذي أُلّف له ابن سينا كتاب *الحكمة العروضية*^(٢٦)، وأبي الحسين السهلي وزير علي بن مأمون أمير كركانج^(٢٧)، فإن دلالة ذلك تتحدد في ازدهار العلم والفلسفة في ظل الحضارة الإسلامية في هذه المنطقة في عصر ابن سينا مما دعا سعديف إلى أن يطلق على هذه الفترة "عصر الإنسانية" حيث "نجد الباحثين يطلقون على ازدهار الحضارة التي يمثلها ابن سينا اسم عصر النهضة الإسلامية أو الشرقية"^(٢٨).

لقد كان ابن سينا تعبيراً واضحاً ومثالاً بارزاً وجودياً حياً للفيلسوف الموسوعي الذي أحاط بعلوم عصره فلم يترك علماً من العلوم إلا وقدّم لنا فيه إنتاجاً متميّزاً ويكفي أن نراجع قائمة مؤلفاته التي أحصاها كل من الأب فنواني في العربية والدكتور محقق مهدي في الفارسية وتجاوزت المائتين

-
- ١٦ - الكاشي: نكت في أحوال الشيخ ابن سينا، ص ١٦.
- ١٧ - انظر حول أبي سهل المسيحي كل من: البيهقي ص ٩٥، والشهرزوري، ص ٣١٥، والقفطي، ص ٢٦٦.
- ١٨ - وكانت بينه وبين ابن سينا مناظرات ومجالات وأسئلة وأجوبة.
- ١٩ - انظر في ذلك د. محمد ثابت الفندي في تعليقه على مادة ابن سينا، دائرة المعارف الإسلامية.
- ٢٠ - راجع سيرة ابن سينا في الكاشي، ابن أبي أصيبعة، والقفطي وابن خلكان.
- ٢١ - انظر البيهقي، ص ٩٧ والشهرزوري، ص ٣١٦.
- ٢٢ - البيهقي، ص ١٠٢، والشهرزوري، ص ٣١٧.
- ٢٣ - البيهقي ص ٩٩، والشهرزوري، ص ٣١٧.
- ٢٤ - د. ثابت الفندي: التعليق على مادة ابن سينا، دائرة المعارف الإسلامية.
- ٢٥ - البيهقي، ص ١٣١ والشهرزوري، ص ٣٢٨.
- ٢٦ - الكاشي: المصدر السابق، ص ١٥.
- ٢٧ - الكاشي: المصدر السابق، ص ١٦.
- ٢٨ - سعديف: ابن سينا، ص ٣٧.

والخمسة والسبعين مؤلفاً، ومن هنا كثرت الدراسات حول الشيخ الرئيس وفلسفته وتعددت، بحيث يمكن القول أنه لا توجد قضية من القضايا التي عالجها ابن سينا إلا وتناولها الباحثون بالبحث والدراسة والتحليل والتحقيق في شتى مجالات إنتاجه العلمي الذي حَظِيَ بِكَمِّ وَأَفْرِ من الاهتمام في جوانبه المتعددة. ويكفي أن نشير إلى نماذج من هذه الدراسات حتى يتبين لنا مقدار إبداعه الذي حفز ولا يزال يحفز الباحثين من كافة الأقطار لتعمق فكر وعلم وفلسفة هذه الشخصية الخصبية المتعددة الجوانب.

ونذكر في البداية نماذج من الأبحاث التي تمت في مجال الطب عند ابن سينا، ميدان تفوقه الأول^(٢٩)، فقد حُقِّقَت بعض مؤلفاته^(٣٠) وترجمت وطبعت عدة مرات في لغات مختلفة منذ ترجم كتابه القانون في الطب إلى اللاتينية حتى اليوم، وتعددت الندوات حول دور ابن سينا في مجال الطب، حيث أقامت منظمة الطب الإسلامي ندوة بمناسبة مؤتمرها الأول الذي يوافق الذكرى الألفية للفيلسوف الطبيب الشيخ الرئيس في الفترة من ١٢-١٦ يناير ١٩٨١م تعددت فيها الأبحاث، حول الطب السينوي^(٣١). وكذلك أقام معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب المؤتمر الخامس لتاريخ

-
- ٢٩ - كما يتضح في كتابه الهام القانون في الطب والذي ظل يدرس في جامعة بروكسل في بلجيكا حتى بداية هذا القرن، د. محمد زهير البابا، مرجع سابق، ص و.
- ٣٠ - حقق د. محمد زهير البابا من مؤلفات ابن سينا الطبية: كتب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، الأرجوزة في الطب، وكتاب الأدوية القلبية جامعة - حلب، ١٩٨٤م.
- ٣١ - وقدم الأبحاث التالية: د. إحسان دوغروماجي: ابن سينا بعض الحقائق عن حياته وأعماله، د. المهدي بن عبود: ابن سينا ونظرية الشمولية للإنسان من زاوية الطب، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة: الطب السيناوي، الحكيم محمد سعيد، سعيدية راشد: ابن سينا طبيب وفيلسوف وعالم، د. عبد العزيز غوس لو كان لابن سينا حاسب آلي، السيد زكي إسكندر: دراسة تحليلية لمؤلفات الرازي وابن سينا، د. أحمد عروة: فسيولوجيا التنفس عند ابن سينا، وفي المجلد الرابع من أعمال المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالاشتراك مع مؤسسة التقدم العلمي بالكويت قدم د. أحمد عروة: نظرية الوقاية عند ابن سينا، ص ٢٥٩-٢٧٤، وجورنالييس الدين: رأي ابن سينا في علم التشريح، ص ٢٠٤.

العلوم عند العرب للاحتفال بذكرى "أمير الأطباء" (٣٢)، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الأبحاث المتفرقة حول ابن سينا الطبيب (٣٣).

وتناول العديد من الباحثين جوانب فلسفة ابن سينا الطبيعية، ونظرياته في الطبيعيات، ونظرية المكان في فلسفته (٣٤)، كما خصصت عدة دراسات للإدراك الحسيّ وعلم النفس عند الفيلسوف (٣٥)، بالإضافة لكتاباتته المختلفة حول فلسفته ككل (٣٦)، أو مؤلفاته (٣٧) أو المنطق

٣٢ - وفي أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب الذي أقامته جامعة حلب قدمت الأبحاث التالية: د. محمد التوجي: ابن سينا وأثر الطب العربي في الصين، د. محمد زهير البابا: رفع الغطاء عن إحدى رسائل ابن سينا الطبية، د. عارف تامر: جولة في آفاق ابن سينا، د. فايز الداية: علم النفس السنيوي وأثره في الأدب العربي، د. عبد الكريم شحادة: ابن سينا الطبيب، صلاح الدين الخالدي: ابن سينا رائد الطب النفسي، كمال شحادة: لمحات حول الحياة والمعرفة عند ابن سينا، محمود فاخوري: سيرة ابن سينا، د. سلمان قطاية: الأراجيز الطيبيّة، حسن ملا عثمان: الأفكار النفسية والتربوية عند ابن سينا، د. محمود ناظم نسيمي: أوطان ابن سينا ولسانه وإيمانه، د. صالح عمر: أهمية تطبيق ابن سينا لقوانين الانعكاس على جرم القمر، وفي أبحاث المؤتمر الأول لتاريخ العلوم عند العرب بحلب قدم كل من: د. طه إسحاق الكيالي: أرجوزة الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب، د. جلال محمد موسى: الأدوية المفردة ومعرفة قواها عند حنين بن إسحاق وابن سينا.

٣٣ - فقد كتب د. فيليب سالم: ابن سينا الطبيب، وعمر فروخ عن ابن سينا العالم في ابن سينا، مؤسسة نوفل بيروت لبنان، ١٩٨١م، وكذلك كل من: جمعية الجراحة السنيوية ومصادرها التاريخية، طشقند، ١٩٧٩م، ويوجونديوف: عصر ابن سينا وتشكل آرائه العلمية، في دانش تامه، ستالين ابار، ١٩٥٧م.

٣٤ - انظر د. محمد عاطف العراقي: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، دار المعارف القاهرة ودينور شريف: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، دوشانيه، ١٩٨٠م، وبولخماير مختار: نظرية الطبيعيات عند ابن سينا دار الحدائق بيروت، ١٩٨٦م، حسن مجيد العبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

٣٥ - د. محمد عثمان نجاتي: الإدراك الحسيّ عند ابن سينا، دار المعارف القاهرة، ط ٢، ١٩٦١م، ط ٢، بيروت.

٣٦ - كاردي فوا: ابن سينا ترجمة عادل زعيتر - دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٧٠م، تيسير شيخ الأرض: المدخل إلى فلسفة ابن سينا، دار الأنوار بيروت لبنان، ١٩٦٧م، أحمد فؤاد الأهواني: ابن سينا، دار المعارف بمصر، ١٩٥٨م، عباس محمود العقاد: الشيخ الرئيس ابن سينا - دار المعارف بمصر ط ٢، الأب بولس مسعد: ابن سينا الفيلسوف، مطبعة الاتحاد بيروت، ١٩٣٧م.

٣٧ - فؤاد سيد: ابن سينا مؤلفاته وشروحها المحفوظة بدار الكتب المصرية، ١٩٥٠م، د. جميل صليبا: مؤلفات ابن سينا وفلسفته وتأثيره دائرة معارف البستاني، مجلد ٣، سنة ١٩٦٠م، د. الأب قنواني: مؤلفات ابن سينا، دار المعارف مصر، ١٩٥٠م، د. الأب قنواني: مؤلفات ابن سينا منتهج تصنيفها (الكتاب الذهبي) القاهرة، ١٩٥٢م.

السينوي (٣٨)، أو الإلهيات (٣٩) أو التصوف (٤٠)، أو أثره على الغرب اللاتيني (٤١).
 ومن المفيد أن نعرض للدراسات السابقة التي تناولت الأخلاق عند ابن سينا، وهو مجال قد يبدو منه للوهلة الأولى أن قلة الاهتمام بالبحث فيه إنما مرجعه الظن بأن الشيخ الرئيس ليس فيلسوفاً أخلاقياً من نمط الفارابي أو مسكويه أو الغزالي لقلة كتاباته في الأخلاق، ومع هذا نجد عدداً ليس بالقليل من الأبحاث التي تدور حول بعض الجوانب أو النظريات الأخلاقية عند ابن سينا، إلا أننا - كما سيتضح من تحليل هذه الدراسات - نجد أنها ليست دراسات متخصصة في ابن سينا، بل دراسات عامة تتناول المذاهب الأخلاقية في الإسلام كما نجده لدى عبد الحي قابيل (٤٢)، أو مذاهب السعادة عادل العوا (٤٣)، أو تعرّض للمذاهب الأخلاقية اليونانية وأثرها على الفلاسفة المسلمين حيث يجعل منه ناجي التكريتي أفلاطونيا في الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام (٤٤)، وتجعل منه إسمهان شلبي أرسطياً في بحثها نظرية الوسط الأخلاقية عند أرسطو وأثرها على فلاسفة

-
- ٣٨ - نيقول فيشر: تطور المنطق العربي ترجمة د. محمد مهران المعارف القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٧٥.
- ٣٩ - مصطفى سيد أحمد شاهين: موقف فخر الدين الرازي من الفلسفة الإلهية عند ابن سينا رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م، د. محمد يوسف موسى: الإلهيات بين ابن سينا وابن رشد (الكتاب الذهبي) القاهرة، ١٩٥٢م، د. ماجد فخري: الإلهيات عند ابن سينا، ابن سينا مؤسسة نوفل بيروت لبنان، ١٩٨١م.
- ٤٠ - لويس جارديّة: المقدمات الفلسفية للتصوف السينوي "ضمن كتاب ذكرى ابن سينا" ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الشرقية القاهرة، ١٩٥٢م، د. عبد الحليم محمود: التصوف عند ابن سينا، مكتبة دار العروبة القاهرة، د. كوكب محمد احمد مصطفى: التصوف عند ابن سينا، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة عين شمس، ١٩٨١م، د. معن زيادة: الفكر الصوفي عند ابن سينا، مؤسسة نوفل بيروت، ١٩٨١م.
- ٤١ - جواشون: فلسفة ابن سينا وأثرها في أوروبا خلال القرون الوسطى، ترجمة رمضان لاوند، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٥٠م، زينب الخضيري: ابن سينا وتلاميذه اللاتينيين، مكتبة الخانجي القاهرة.
- ٤٢ - د. عبد الحي قابيل: المذاهب الأخلاقية في الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ٤٣ - د. عادل العوا: مذاهب السعادة، دار الفاضل دمشق، ١٩٩١م، ص ٩٤-٩٩.
- ٤٤ - د. ناجي التكريتي: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، دار الأندلس بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ص ٣١٨ - ٣٣٥.

الإسلام^(٤٥)، كما يجعل منه كاردي فوا وهنري كوربان ويتابعهما جميل صليبا فيلسوفاً إشراقياً فيضياً أفلوطينياً^(٤٦)، هذا عن الدراسات الأخلاقية أو الدراسات التي أولت قدراً من الاهتمام بالجانب الأخلاقي عند ابن سينا في سياق دراسات عامة، وهناك إشارات للجوانب الأخلاقية لدى الشيخ الرئيس تجدها لدى جميل صليبا وتيسير شيخ الأرضي وأحمد فؤاد الأهواني وأخيراً أبحاث خصصت لأحد المفاهيم أو النظريات الأخلاقية عنده وهي أكثر تخصصاً تبحث في نظرية الخير عند ابن سينا لجميل صليبا^(٤٧)، أو اللذة، لإبراهيم بيومي مذكور^(٤٨)، أو الحب والخير والجمال لأبي العلا عفيفي^(٤٩)، أو النزعة الإنسانية لزهدي جار الله^(٥٠)، أو السعادة لمحمد مصطفى حلمي وجميل صليبا وعادل العوا^(٥١)، أو تدور حول الخير والشر^(٥٢).

هناك إذن عدد كبير من الأبحاث التي تناولت أحد الجوانب أو المفاهيم الأخلاقية عند ابن سينا وهي كما سبق أن ذكرنا إما دراسات عامة تُدرجُ ابن سينا في سياق أوسع أو تُفسرُ أخلاق الشيخ الرئيس تفسيراً خاصاً ينحى به منحى يونانياً أو شيعياً أو صوفياً إلا أن الملاحظ من الكتابات التي تهتم أساساً بالأخلاق الإسلامية أنها لم تتوقف أبداً أمام كتابات ابن سينا الأخلاقية. والسؤال الأساسي هنا هو: هل هناك فلسفة أخلاقية عند ابن سينا؟ وإذا كان لدى الشيخ الرئيس إنجازات في مجال الأخلاق فأين يمكن أن نلتمسها؟ وما هي طبيعة هذه الأخلاق؟ هل تُفسرُ تفسيراً جزئياً حسب

-
- ٤٥ - اسمهان شلبي: نظرية الوسط الأخلاقية عند أرسطو وأثرها على فلاسفة الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة، ص ١٧٤-٢٠٢.
- ٤٦ - كاردي فوا: المرجع السابق، ص ٢٦٥-٢٨٥، وهنري كوربان: و د. جميل صليبا: من أفلاطون إلى ابن سينا، دار الأندلس بيروت لبنان، ط ٣، عام ١٩٨٣م، ص ١٢٤-١٤٤.
- ٤٧ - د. جميل صليبا: نظرية الخير عند ابن سينا "الكتاب الذهبي" مطبعة مصر، ١٩٥٢م.
- ٤٨ - د. إبراهيم مذكور: اللذة والألم عند ابن سينا، مجلة الثقافة، عدد خاص بابن سينا رقم ٦٩١، عام ١٩٥٢م، ص ١٠-١٢.
- ٤٩ - د. أبو العلا عفيفي: الحب والخير والجمال عند ابن سينا مجلة الثقافة، عدد ٦٩١.
- ٥٠ - زهدي جار الله: النزعة الإنسانية عند ابن سينا "الكتاب الذهبي" القاهرة، ١٩٥٢م.
- ٥١ - د. محمد مصطفى حلمي: السعادة عند ابن سينا، مجلة الثقافة، عدد ٦٩١، جميل صليبا في كتابه من أفلاطون إلى ابن سينا، الفصل السادس، د. عادل العوا: مذاهب السعادة، الفصل الثاني من الباب الثاني.
- ٥٢ - د. منى أحمد أبو زيد: فهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية، دراسة مقارنة في فكر ابن سينا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١م.

كل عمل من أعماله على حدة؟ أو يمكن أن تقدم لنا رؤية كلية لفلسفة ابن سينا؟ إن هذه الأسئلة تمثل محاور البحث الحالي.

وعلينا قبل أن نتعرض للأخلاق عند ابن سينا أن نتوقف أمام مسألتين: الأولى ما يثيره بعض الباحثين حول وجود تناقض بين آراء ابن سينا الفلسفية حيث نجده في بعض المواضع مثالياً وبعضها مادياً أو قريباً من المادية^(٥٣)، وتناقض بين آرائه الفلسفية التي تنحى مَحَى صوفياً وكتاباتة العلمية وبين كتاباته عامة وحياته، فالقضية إذن هي: إلى أي مدى تتفق سيرة ابن سينا التاريخية ونتائج أبحاثه العلمية وفلسفته؟ فالعلاقة بين حياته المليئة بالجهد والمثابرة والتنافس العلمي مع أعلام عصره والصراع السياسي بينه وبين خصومه من جانب، والنسق الفلسفي الذي قَدَّمه لنا والذي يتجاوز صياغة الفلسفة اليونانية وتقديمها في البيئة الإسلامية إلى إنتاج فلسفة خاصة أطلق عليها الفلسفة المشرقية تحاول الإنصاف بين فلسفة المشرق والمغرب من جانب آخر، وهي النظرة التي نحاول أن نتبناها في بحثنا الحالي.

وتؤدي كل من هاتين النظرتين إلى نتيجة مرتبطة بها ومتسقة معها خاصة في مجال الأخلاق، فالنظرة الأولى التي تتناول أعمال الفلاسفة المسلمين بمعايير الفلسفة اليونانية تتوقف أمام أسماء معينة لأعلام تعدّهم الممثلين للفلسفة الخلقية أو هم فلاسفة الأخلاق عند المسلمين مثل: مسكويه وإخوان الصفا والغزالي، ولا نجد لديها مكاناً لابن سينا فهو لا يعدّ بهذا المقياس فيلسوفاً أخلاقياً، والنظرة الثانية التي تحاول أن تقرأ فلسفة ابن سينا قراءة تاريخية كلية، ترتبط بين وقائع حياة الفيلسوف وتطور أعماله وعبر رؤيته الكلية للفلسفة وطموحه إلى تقديم فلسفة متميزة.

وتنقلنا هذه القضية إلى المسألة الثانية المتعلقة بتحديد كتابات الفيلسوف الأخلاقية، هل هي تقتصر على رسالة الأخلاق فقط ويضاف إليها أحياناً بعض أنماط الإشارات والتنبهات أم تشمل مجمل فلسفة الشيخ الرئيس؟ إننا لا نستطيع أن نكتفي بذكر بعض المؤلفات المحدودة التي قدّمها الباحثون باعتبارها تمثل فلسفة ابن سينا في الأخلاق لكننا سنحاول تتبع أقوال الفيلسوف من أجل تقديم بيان بالكتب والفصول والرسائل التي تناول فيها الأخلاق. والصعوبة هنا تتمثل في كون الأخلاق ترتبط عند ابن سينا بعدة مجالات ميتافيزيقية وإلهية وطبيعية ونفسية ومن هنا نترك للفيلسوف أن يحدد لنا أولاً مواضع كتابته حتى نستطيع أن نعرض لها بالتحليل والمناقشة.

٥٣ - جاء في الموسوعة الفلسفية لميادين وروزنتال: مادة ابن سينا، أن الفيلسوف احتفظ في فلسفته بكل العناصر

المادية والمثالية في فلسفة أرسطو، ص ٨.

إذا استثنينا كتاباً مفقوداً يحمل دلالة هامة هو كتاب البر والإثم في الأخلاق - لأننا لم نعثر عليه لضياح نسخته الوحيدة التي كتبها ابن سينا - لأبي بكر أحمد بن محمد البرقي^(٥٤)، فإن الدلالة تبقى، وهي العنوان الذي أعطاه ابن سينا للكتاب، وتحدد في مفاهيم واصطلاحات عربية متميزة تماماً عن اصطلاحات الأخلاق اليونانية، إذا استثنينا - للأسف - هذا الكتاب لضياحه يتبقى لدينا كتابات أخلاقية خالصة مثل: رسالة الأخلاق^(٥٥)، رسالة في السعادة^(٥٦)، رسالة في دفع الغم من الموت^(٥٧)، رسالة في العشق^(٥٨)، رسالة في القضاء والقدر^(٥٩)، رسالة في معرفة النفس وأحوالها^(٦٠)، رسالة في القوى الإنسانية^(٦١)، رسالة في أقسام العلوم العقلية^(٦٢)، و رسالة في السياسة^(٦٣)، بالإضافة إلى رسالة العهد^(٦٤)، وبعض فصول الإشارات والتنبيهات^(٦٥)، ورسائله الرمزية مثل: رسالة الطير،

-
- ٥٤ - الكاشي: المصدر السابق، ص ١٩.
- ٥٥ - وقد نشرت عدة مرات في كتابه تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، أهمها نشرة قسنطينية ١٢٩٨هـ، ص ١٠٧-١١٠، ونقلها عنها د. ماجد فخري في كتابه الفكر الأخلاقي العربي، الأهلية للنشر والتوزيع لبنان، ط ٢، ١٩٨٦م، ونشرة الشيخ محيي الدين صبري الكردي، بالقاهرة وأخيراً نشرة د. حسن عاصي دار قابس بيروت، ١٩٨٦م، ص ١١٥-١٢٤.
- ٥٦ - ابن سينا: رسالة السعادة ضمن رسائل ابن سينا، حيدر آباد - دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٣هـ.
- ٥٧ - ابن سينا: دفع الغم من الموت: رسائل ابن سينا في أسرار الحكمة المشرقية، نشرة مهران ليدن، ١٨٨٩م.
- ٥٨ - ابن سينا: رسالة في ماهية العشق، ضمن جامع البدائع، مطبعة السعادة، ١٩١٧م.
- ٥٩ - ابن سينا: رسالة في القضاء والقدر، المصدر السابق.
- ٦٠ - ابن سينا: رسالة في معرفة النفس وأحوالها، تحقيق د. محمد ثابت الفندي القاهرة.
- ٦١ - ابن سينا: رسالة في أقسام العلوم العقلية، "ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعات نشرة" د. حسن عاصي، ص ٨٣-٩٤.
- ٦٢ - ابن سينا: رسالة الحدود، تحقيق وترجمة جواشون المعهد الفرنسي الآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ٦٣ - ابن سينا: رسالة السياسة، لويس شيمو: مقالات فلسفية، دار العرب للبيستاني في القاهرة.
- ٦٤ - ابن سينا: رسالة العهد "تسع رسائل في الحكمة والطبيعات" تحقيق د. حسن عاصي، دار قابس، بيروت، ١٩٨٦.
- ٦٥ - ابن سينا: الإشارات والتنبيهات مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق د. سليمان دنيا، القسم الرابع، ط ٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.

و[وحي بن يقظان، و سلامان وأبسال(٦٦). وعلينا أن نجد طريقنا بين هذه الأعمال لنعرض فهم ابن[ابن سينا لطبيعة الأخلاق وتعريفها وتحديد مجالها وموضوعها وعلاقتها بفلسفته ككل. ومن الطبيعي أن نجد لدى الشيخ الرئيس متابعة لسابقه من الفلاسفة اليونان والمسلمين، إلا أن الوقوف عند ذلك يؤدي إلى رد إنجاز الفيلسوف إلى عناصر خارجية ينتج عنه الاكتفاء بالقول بأرسطية أو أفلاطونية أو متابعته للفارابي، إلا أننا لو رجعنا إلى مؤلفاته وتناولناها في سياقها العام وحددنا علاقة الأخلاق بمجمل فلسفته ربما نكون على الطريق الصحيح في تحديد الأخلاق السينية وتمييزها. ومقابل تأكيد البعض على قلة عناية ابن سينا بالأخلاق(٦٧)، نستطيع أن نحدد له العديد من الكتابات الأخلاقية تتناثر بين ثنايا مؤلفاته، وعلينا أن نرجع إليها من أجل تحديد موقع وعلاقة الأخلاق بمجمل فلسفته.

في بداية سفره الضخم الشفاء وبعد أن ذكر العلوم المختلفة التي تناولها بالبحث في الفصل الذي أطلق عليه في الإشارة إلى ما يشتمل عليه الكتاب يقول: "ختمت الكتاب بالعلم المنسوب إلى ما بعد الطبيعية ... مشاراً فيه إلى جمل من علم الأخلاق والسياسات، إلى أن أصنف فيها كتاباً جامعاً مفرداً"(٦٨).

ولا ندري بالتحديد إلى أي شيء تعود هذه الإشارة الأخيرة؟ وهل تم إنجازها أم لا، وهل المقصود بها ما كتبه تحت عنوان: البر والإثم، أم هي رسالته في الأخلاق أم أن في ذهنه تصوراً ما للأخلاق لم ينجزه بعد؟ وفي ظني أن هدف ابن سينا هو إكمال تناول بقية العلوم "العملية" التي لم يتناولها في الشفاء ولم يوفها حقها سواء في موسوعته الضخمة أو في رسالته الصغيرة التي تحدد إطار هذه الموسوعة ونقصد بها رسالة في أقسام العلوم العقلية، وهو في كلا العملين وكذلك في معظم أجزاء

٦٦ - لقد اعتمد كل من كاردي فوا في الفصل العاشر من كتابه عن ابن سينا وجميل صليبا في نظرية ابن سينا في السعادة في كتابه من أفلاطون إلى ابن سينا في بيان الأخلاق السيناوية على تحليل هذه القصص الرمزية انظر الأول ص ٢٧٨ وما بعدها والثاني ص ١٣٧ وما بعدها.

٦٧ - "كان نتاج ابن سينا ضخماً تناول فيه شتى المواضيع الفلسفية والطبية واللغوية ... ومن الغريب أن المواضيع الخلقية لم تحظ بكبير عنايته، د. ماجد فخري: الفكر الأخلاقي العربي، ص ٣٨١، "لم يكن فيلسوفنا معنياً مباشرة بصياغة العلوم العملية التي أولاهها سلفه أبو نصر الفارابي اهتماماً كبيراً" سعديف: ابن سينا، ص ٢٦٩.

٦٨ - ابن سينا: الشفاء، المدخل، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ١١.

رسالته في الأخلاق يتابع أرسطو في فلسفته العامة من جهة وفي فهمه للأخلاق التي يجعل منها أحد العلوم العملية من جهة ثانية.

ونلمس لدى ابن سينا ربطاً للأخلاق بالنفس، كما نجد ذلك في الجزء الخاص بالنفس من كتاب الشفاء، ورسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها^(٦٩) فالنفس ترتبط بالفضائل، وقوى النفس تتلائم مع مستويات الفضائل التي تلائمها. كما ترتبط نظرية ابن سينا الأخلاقية بمجمل فلسفته خاصة الإلهيات حيث يرتبط رأي الشيخ الرئيس في السعادة برأيه في الخالق والعناية الإلهية^(٧٠) كذلك نجد ارتباطاً قوياً بين الأخلاق والتصوّف في رسالة العهد والإشارات والتنبيهات وأيضاً بين الأخلاق والسياسة.

إن الأخلاق جزء من العلوم العملية في تقسيم ابن سينا للعلوم، فهي نظرية وعملية، "والقسم العملي ليس الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقيني بالموجودات، بل ربما يكون المقصود فيه حصول صحة رأي في أمر يحصل بكسب الإنسان ليكتسب ما هو الخير منه، فلا يكون المقصود حصول رأي فقط بل حصول رأي لأجل عمل فغاية النظري هو الحق وغاية العملي هو الخير"^(٧١).

ومهمة علم الأخلاق أن يعرف به الإنسان كيف ينبغي أن تكون أخلاقه وأفعاله حتى تكون حياته الأولى والأخرى سعيدة^(٧٢)، ويوضح لنا في رسالة السياسة أن أول ما ينبغي أن يبدأ به الإنسان من أصناف السياسة، سياسة نفسه، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال المعرفة: معرفة النفس، ومعرفة الغير. ولكي يعرف الإنسان أخلاق نفسه لا بد له من اتباع طريقتين: الأولى أن يحاول معرفة نفسه بنفسه أما الثاني: فهو أن يعرف نفسه من خلال الآخرين المتصلين به، فأول واجبات الإنسان حينما يريد أن يسوس نفسه هو أن يعلم أن له عقلاً و نفساً وإذا كانت النفس أمارة بالسوء، على العقل

٦٩ - ابن سينا: رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها، تحقيق د. محمد ثابت الغندي.

٧٠ - يربط جميل صليبا وكاردي فوا الأخلاق بالإلهيات حيث يعرضاً لتناول ابن سينا للعناية الإلهية في كتاب الإشارات ويختتم كاردي فوا حديثه يتناول موضوع المعاد، فعاد النفس الذي ينطوي على نظرية في اللذة والألم تناولها ابن سينا في كتاب النحاة. كاردي فواح ٢٧٣-٢٧٨. كذلك يعرض لنا الأب بولس مسعد في الفصل الحادي عشر "العناية الإلهية" والثاني عشر دخول الشر العالم والثالث عشر "السعادة والشفاء" في كتابه ابن سينا الفيلسوف ببيروت، ١٩٣٧م.

٧١ - ابن سينا: رسالة في أقسام العلوم العلية "تسع رسائل... ص ٨٤.

٧٢ - المصدر السابق، ص ٨٥.

ألا يتركها على ما هي عليه بل يجب عليه أن يسوسها ولا يتم ذلك إلا بمعرفه مقاصدها للقيام بإصلاحها.

إلا أن محاولة الإنسان معرفة أخلاقه بنفسه غير موثوقة، لهذا لا بد له من أن يلجأ إلى بعض إخوانه حتى ينظر إلى نفسه وهي منعكسة في مرآة نفوسهم فيرى حسنَ أفعاله حسناً وسيئها سيئاً، وبعد أن يتمكّن المرء من معرفة أخلاقه حقّ المعرفة لا بد له من أن يلجأ إلى سياسة يسوس بها نفسه ويقوم بها أخلاقه، وهذه هي سياسة الثواب والعقاب، الثواب بلجؤ اليد حين تحسن طاعة النفس ويسلس إنقيادها فتميل نحو الفضائل وتتجنب الرذائل (٧٣).

فالأخلاق هي تحقيق الكمال، فالمعتني بأمر نفسه المحبّ لمعرفة الفضائل وكيفية إقتنائها لتزكو بها نفسه، ومعرفة الرذائل وكيفية توقيها لتتطهر عنها نفسه، المؤثر لها أن تسير بأفضل السير فيكون قد وفّى إنسانيته حقها من الكمال المستعدّ به للسعادة الدنيوية والأخروية، ويجب عليه تكميل قوته النظرية بالعلوم المحصّلة وتكميل قوته العملية بالفضائل التي أصولها العفة والشجاعة والعدالة المنسوبة كل فضيلة منها إلى قوة من قواه وتجذب الرذائل التي بإزائها (٧٤).

يرى ابن سينا أن الفضائل والرذائل متعددة إلا أنه يمكن تحديدها حسب القوى النفسانية الثلاث وهي: الشهوانية والغضبية والتمييزية "الناطقة" فتكون هناك ثلاثة مجموعات من الفضائل، يقابل كلا منها مجموعة من الرذائل. بيد أنه على رأس هذه الفضائل فضيلة العدالة وهي الفضيلة التي تنسب إليها جميعاً عندما تستكمل كل مجموعة منها بفضيلتها وفروعها التي هي كالأصناف لها أو كالمركب منها (٧٥). وسنعرض لهذه الفضائل والرذائل المقابلة لها.

وهو يحدد لنا العفة والسخاء والقناعة، فضائل القوة الشهوانية وفضائل الشجاعة، والصبر والحلم والعفو والصفح والتجاوز ورحب الباع وكتمان السرّ منسوبة إلى القوة الغضبية، والحكمة والبيان والفتنة وإصابة الرأي والحزم والصدق والوفاء والرحمة والحياء والود وعظم الهمة وحسن العهد والتواضع إلى القوة التمييزية.

٧٣ - ابن سينا: رسالة السياسة، ص ٦، ٧، وتيسير شيخ الأرضي: المدخل إلى فلسفة ابن سينا، ص ٣٣٧ - ٣٤٠.

٧٤ - ابن سينا: رسالة الأخلاق، تسع رسائل ... ص ١١٥.

٧٥ - المصدر السابق، ص ١١٥ - ١١٦.

- ويقدّم لنا ابن سينا تعريفاً لهذه الفضائل حيث يحدد لنا في رسالة الأخلاق عشرين فضيلة معرّفاً بكل واحدة منها، وهو نفس ما يفعله يحيى بن عدي في كتابه تهذيب الأخلاق^(٧٦)، ومن هذه التعريفات التي يقدمها لنا الشيخ الرئيس:
- العفة: وهي أن تمسك النفس عن الشره إلى فنون الشهوات المحسوسة من المآكل والمشارب والمناكح والإنقياد لشيء من الشهوات بل تقهرها وتصرفها بحسب الرأي الصحيح.
 - القناعة: أن تضبط قوتها عن الاشتغال بما يخرج عن مقدار الكفاية ومبلغ الحاجة من المعاش والأقوات المقيمة للأبدان.
 - السخاء: أن تسلس قوتها لبذل ما يجوز من الأموال التي لأهل جنسه إليها حاجة وحسن المواساة بما يجوز أن يواسى به.
 - الشجاعة: هي الإقدام على ما يجب من الأمور التي تحتاج إلى أن يُعرّض الإنسان نفسه بها لاحتمال المكاره والاستهانة بالآلام الواصلة إليه منها.
 - الصبر: أن تضبط قوتها عن أن يقهرها ألمّ مكروه ينزل بالإنسان ويلزم في العقل اجتنابه حتى لا يتناوله على غير وجهه.
 - الحلم: هو الإمساك عن المبادرة إلى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه مبناه أن يصلي مكروهاً إليه، وقد يسمى هذا كرمًا وصفحاً وعتوّاً وتجاوزاً وتثبناً واحتمالاً وكظم غيظ.
 - ورحب الباع: "سعة الصدر" هو أن لا تدع قوة التجلد عند ورود الأحداث المهمة على الإنسان واختلاجها في قلبه.
 - كتمان السر: وهو أن تضبط قوة الكلام من الإنسان عن إظهار ما في ضميره ومما يضرّ به إظهاره وإبداؤه قبل وقته.
 - أما فضائل القوة التمييزية فأفضلها العلم، وهو أن يدرك الأشياء التي من شأن العقل الإنساني أن يدركها إداركاً لا يلحق فيه خطأ ولا زلل فإن كان ذلك بالحجج اليقينية والبراهين الحقيقية سُمّي حكمة.
 - والحياء: هو أن يحسن ارتداع النفس عن الأمور التي يقبح تعاطيها والإقدام عليها لملاحظة ما ينتج عن ارتكابها من قبح الأحداث.

٧٦ - انظر يحيى بن عدي: تهذيب الأخلاق، تحقيق جاد حاتم - دار المشرق بيروت، لبنان.

– عظم الهمة: أن لا يقتصر عن بلوغ غاية من الأمور التي يزداد بها فضيلة وشرفا حتى تسمو إلى ما وراءها مما هو أعظم قدراً وأجل خطراً.

والحقيقة أن هذه الفضائل لا يمكن اعتبارها قيماً موضوعية ثابتة قائمة في الخارج وكذلك هي ليست قيماً ذاتية تنسب إلى الشخص الأخلاقي الفاعل بقدر ما هي ممارسة عملية وجهد مستمر لتحديد القدر الملائم من هذه القيم "الفضائل" للذات أو ما أطلق عليه الوسط أو الوسط الأخلاقي الذي يجعل من الموازنة بين رذيلتين فضيلة. يقول ابن سينا: "والذي يجب على الإنسان في ذلك هو تحصيل هذه الفضائل المذكورة وتجنب الرذائل التي بإزاء كل واحدة منها. وذلك أن أكثر هذه الفضائل بل هو الوسائط بين الرذائل، والفضيلة منها وسط بين الرذيلتين اللتين هما كالافراط والتفريط(٧٧).

ويعطي لنا عدة أمثلة تطبيقية لذلك: فالعفة وسط بين الشرف والشبق، والسخاء وسط بين البخل والتبذير، والعدالة وسط بين الظلم والانظام، والقناعة وسط بين الحرص والاستهانة، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور.

ويجب تجنّب الرذائل المعتادة للفضائل المذكورة وهي: الحسد والحقد وسرعة الانتقام والخمل والعجز والغي والغدر والخيانة والوقاحة وصغر الهمة وسوء العهد والصلف والتكبر والجور. ويبين لنا ابن سينا كيفية اكتساب الفضائل وتجنّب الرذائل والأساس فيه أن نعلم أن كل إنسان مفضو على قوة يفعل بها الأفعال الجميلة وبتلك القوة يفعل الأفعال القبيحة، والأخلاق كلها، الجميل منها والقبيح هي مكتسبة، ويمكن الإنسان متى لم يكن له خلق حاصل أن يحصله لنفسه، ومتى صادف أيضاً نفسه على خلق حاصل أن ينتقل بإرادته إلى ضد ذلك الخلق، والذي به يحصل الإنسان لنفسه الخلق الجميل ويكتسبه متى لم يكن له، أو ينقل نفسه عن خلق صادف نفسه عليه هو العادة، وأعني بالعادة تكرير فعل الشيء الواحد مرّات كثيرة، فإن الخلق الجميل إنما يحصل عن العادة(٧٨).

وينفي ابن سينا أن تكون السعادة هي اللذات الحسيّة، وهو يوضح لنا في الفصل الأول من النمط الثامن من الإشارات والتنبيهات ذلك "إنه قد سبق إلى الأوهام العامية أن اللذات القوية المستعلية هي الحسيّة، وأن ما عداها ضعيفة وكلها خيالات غير حقيقية(٧٩) ... فقد بان أن اللذات

٧٧ – ابن سينا: رسالة الأخلاق، ص ١١٩.

٧٨ – المصدر نفسه، ص ١٢٠.

٧٩ – ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، القسم الرابع، ص ٧.

الباطنة مستعلية على اللذات الحسية^(٨٠)، ويبين في الفصل الثالث حقيقة اللذة فيقول: "إن اللذة هي إدراك ونيل للوصول إلى ما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك... والألم هو إدراك ونيل للوصول إلى ما هو عند المدرك أنه نقص وشر"^(٨١)، إلا أنه ينبه أن الخير والشر نسبيان يختلفان باختلاف الأشخاص يقول: "وقد يختلف الخير والشر بحسب القياس إما إلى الشهوة أو إلى العقل وكان خيراً هو بالقياس إلى شيء ما فهو الكمال الذي يختص به وينحوه باستعداده الأولي".

ويربط ابن سينا بين الطب والأخلاق، فالطب السينيوي خاصة مبدأ الأخلاط Humorism مرتبط تماماً الارتباط بنظريته الأخلاقية وفي تحديد مضمون الفضيلة الأخلاقية وجوهرها في الوسط العدل، فقد اعتقد ابن سينا أن في مقدور الجسم ضبط التوازن بين الأخلاط، وهذا الذي يميز حالة الصحة وليست وظيفة الطب في رأيهم أكثر من تقديم العون على تحقيق ذلك التوازن في حالة اختلاله ليعمل الجسم بصورة سليمة. وكما أن المتوسط فيما يكتسب به الإنسان الصحة أو يحفظ عليه الصحة وإنما يقدر بأحوال الأبدان التي يعالج ويقدر ذلك بحسب الأزمان، كذلك المتوسط في الأفعال إنما يقدر بحسب الحين وبحسب المكان وبحسب من منه يكون الفعل وبحسب ما من أجله يكون الفعل وبحسب ما فيه الفعل. وكما أن الطبيب متى صادف البدن أميل إلى الحرارة أزال ذلك عنه بالبرودة، وإذا وجده أميل إلى البرودة أزال ذلك عنه بالحرارة، كذلك متى صادفنا أنفسنا قد مالت إلى الخلق الذي هو من جهة الزيادة فينبغي أن تزيد ذلك بالذي من جهة النقصان، وإذا صادفناها قد مالت إلى ذلك من جهة النقصان جذبناها إلى الذي من جهة الزيادة إلى أن نوقفها عن الوسط بحسب تحديدنا الوسط^(٨٢).

وعلى ضوء ربط ابن سينا الأخلاق بالطب أو النفس بالبدن نستطيع تحديد طبيعة الأخلاق وتعريفها عنده كما جاء في رسالة الأخلاق، يقول: "الخلق هيئة تجذب النفس الناطقة من جهة انقيادها له وغير انقيادها له، فإن العلاقة التي بين النفس والبدن توجب بينهما فعلاً وانفعلاً، والبدن بالقوى البدنية يقتضي أموراً والنفس بالقوة العقلية يقتضي أموراً مضادة لكثير منها فتارة تحمل النفس على البدن فتقهره وتارة تسلم للبدن فيمضي في فعله"^(٨٣)، والخلاصة أن سعادة النفس في كمال ذاتها

٨٠ - المصدر نفسه، ص ٩.

٨١ - المصدر نفسه، ص ١١-١٢.

٨٢ - ابن سينا: رسالة الأخلاق، ص ١٢.

٨٣ - المصدر نفسه، ص ١٢٢.

من الجهة التي تخصصها وهو صيرورتها عالماً عقلياً، وسعادتها من جهة العلاقة التي بينها وبين البدن أن يكون لها الهيئة الاستعلائية(٨٤).

تلك هي صورة فيلسوف مسلم عاش في ظلّ الحضارة العربية الإسلامية وساهم في إنتاجها، فقدم لنا مؤلفات هامة في الطب والفلسفة والأخلاق وهي خير صورة تمثل للدنيا مدى بلوغ الحضارة الإسلامية وعطائها الغني للعالم.

* * * *